

## الإعاققة الخلقية وضرورة الاهتمام بعلاجها من خلال إعداد مناهج التربية الدينية

للدكتور سيد صبحي<sup>(١)</sup>

تقديم:

تتاول الإسلام بوصفه الدين القيم الطبيعة البشرية وحدد دور الإنسان ووظيفته ومصيره، وبنائه النفسى، وهذا التناول يعبر عن تكامل الرؤية وشموليتها وأوضح الإسلام كيف أن الإنسان يتميز عن سائر الحيوانات الأخرى بالعقل الراجح واللسان الناطق والطاقات العقلية والاستعدادات التى تمكنه من أن يكون أهلاً للعبادة والتدبير وإقامة شعائر دين الله.

هذا الإنسان الذى ميزه الله قد جعل له تركيبة تحدد شخصيته وتصنع ملامحها فقد حدد الدين القيم العلاقة بين الإنسان ومجتمعه الذى يتعامل معه، وجعل الإنسان يتفاعل مع المجتمع أو الكون المحيط به وأن تكامل الإنسان يحتاج إلى ذلك التفاعل مع البيئة ليجعلها أكثر ارتقاءً وتكاملاً.

ثم نظر الإسلام إلى الإنسان نظرة شمولية، فالإنسان له كيان مركب من جسم وعقل وروح، ويقدر الإسلام هذه الأبعاد فى الشخصية الإنسانية ويحدد أهمية كل بعد فيها بالنسبة للحياة الإنسانية وما تتطلبه من توازن وتوافق ويؤكد الإسلام على أهمية إرضاء المطالب الجسمية والمادية عند الإنسان إلى جانب تغذية الجوانب المعنوية والروحية، وهذه النظرة المتكاملة للشخصية على أنها تتكون من جسم وعقل وروح تعطى أوضح دلالة على ضرورة

(١) رئيس قسم الصحة النفسية - كلية التربية - جامعة عين شمس

حرص الإسلام على أن يتم التفاعل بين هذه العناصر جميعها، دون إفراط أو تفريط.

ثم أوضح الدين الإسلامي الحنيف كيف أن طاقات الإنسان تتجلى من خلال مناشطة وقدراته، لأن الله الذي وهب الإنسان طاقاته وقدراته المتنوعة يطالبنا بتوظيفها ويحدد الدين القيم الفرصة لجميع لتوظيف تلك الطاقات في عمل الخير وما ينفع الفرد والمجتمع والإنسانية على وجه العموم، ويطالبنا الدين الإسلامي بوصفه الدين القيم بأعمال الفكر والعقل والمناقشة والافتناع والافتناع عن طريق الفكر المنهجي الموضوعي المشروع بعيدا عن الجمود أو التحجر أو العنف والتسلط.

ثم يؤكد الإسلام بوصفه الدين القيم على أن الإنسان مدنى بالطبع واجتماعى بالضرورة يميل إلى الحياة في مجتمع إنسانى يتفاعل مع الحياة لصنع الحضارة ويهتم بكل الجوانب الثقافية والابتكارية ويكون الدوافع التى تجعله يتجلى بكل العوامل التى تغذى شخصيته وتعمل على إثرائها وتدعيمها تحقيقا لمبدأ التوازن والتكامل في الشخصية.

هكذا يتناول الإسلام الحنيف الحياة النفسية للإنسان وما تتضمنه من عوامل تتدخل في تكوين شخصيته من جميع جوانبها فهى حياة مستمرة الحركة دون انقطاع، دائمة النمو بلا توقف، موصولة بالتجدد بلا حدود وهذا الاستمرار للحياة النفسية طالما يتمشى مع التعاليم الإسلامية العظيمة فهو يكتسب الإنسان قيمته ويعطيه إرادته الفعالة في حدود الشريعة والقانون والأعراف والتقاليد، وتلك هى الثمار التى تجنيها دوحة الإنسان المسلم فردا، وجنة الإنسانية جمعاء، طالما يتمسك كل فرد بتعاليم الدين ويتوق دائما إلى

تحقيق كل ما يؤكد احترامه لنفسه ولمجتمعه ووطنه والإنسانية على وجه العموم.

### الإعاقة الخلقية وانعدام الرؤية الصحيحة:

ويحتاج كل إنسان إلى التنبه إلى خطورة هذا اللون الجديد من أولوان الإعاقة ومكمن الخطورة أنه يتناول أهم جوانب الشخصية وأغنى به الجانب الأخلاقي.

وتحدث هذه الإعاقة التي أفرزتها حياتنا المعاصرة وما فيها من غنى تكنولوجي وتطور مادي أغفل الجوانب المعنوية في غالب الأحوال والظروف، فأسهم في ظهور هذه الإعاقة التي تحدث عندما يحاول الإنسان الفرد أن ينسلخ عن المجموع فيخرج على البناء الشامخ فيخسر المجتمع بعض كيانه ويخسر الفرد كل تكوينه.

من هنا بدأت الخطورة التي تطالنا أن ننبه الأذهان ونحن نعد مناهج التربية الإسلامية كيف نعلم أولادنا وشبابنا وكل مواطنينا تجنب هذا الصنف الغريب والعجيب من الإعاقة، لأن الإنسان الذي يتجاوز هذا الإعاقة هو صاحب الإرادة الخيرة وهو الذي يختار بدقة وعناية كل أفعاله بحيث لايسمح للمؤثرات الخارجية أن تختار له، فهو الذي يجاول دائما ويتطلع إلى الله مستمرا في فهم ووعي وأخلاص وانتماء.

### الميثاق العالمي لحقوق المعوقين لم ينتبه إلى هذه الإعاقة:

وجدير بالذكر أنه عندما صدر الميثاق العالمي لحقوق المعوقين كانت بداية إشارية في طريق التأهيل العضوي والنفسى لكل صاحب إعاقة عضوية

وانطلاقاً من هذه المبادئ الأساسية التي أعلنها الميثاق العالمي في الثمانينات لحقوق المعوقين فإن مادة التأهيل على المستوى الدولي تعتن الأهداف للعمل خلال عقد الثمانينات لتكون هذه المبادئ مرتشداً أو باعثاً للعمل الايجابي<sup>(١)</sup>. الميثاق العالمي لم يأخذ في الاعتبار أن العصر التكنولوجي الذي نعيش بين جوانبه سوف يؤثر على سلوكنا ويفرز هذا النوع من الإعاقة الذي لا يقل خطراً عن الإعاقات العضوية موضوع اهتمام الميثاق العالمي ولعل ذلك يدفعنا إلى أن نحدد ملامح الإعاقة الخلقية موضوع النقاش.

### ملامح الإعاقة الأخلاقية:

تتشخص ملامح الإعاقة الخلقية عندما ينسى الإنسان دوره الحقيقي كإنسان، فلا يكف عن اشاعة الاضطراب والفوضى فيما حواه، ويعمل على نشر الانقسام وسوء التفاهم في الوسط الذي يعيش فيه، حيث يعتمد التدخل المتعسف في شئون غيره والصيد في الماء العكر فلا يستقر على حال ويتجسد بعض ملامح الإعاقة الخلقية في الجوانب الآتية:

### عندما تكون لغة الحوار من ملامح الإعاقة الخلقية:

أعطى الله سبحانه وتعالى الإنسان حرية الاختيار، ووهبه إرادة الانتقاء التي تعود به إذا أحسن تربيتها وصقلها على التنظيم والتنفيذ السليم، وقد أعطيت اللغة للإنسان ليحقق من خلالها الوصال وأن يبني أو يهدم وأن يظهر أو

(١) لم يشبه الميثاق العالمي لحقوق المعوقين إلى خطورة الأعاقة الخلقية

يخفى، ومن خلال نسيج اللغة تتكون علاقاته فيسبح على متوال المحبة والمودة حبا عظيما، أو قد يحول النظر إلى المنوال الآخر فنزاه يعزل بدافع الكرة كل ما يؤدي إلى الفرقة وينشر الأحقاد المحطمة للنسيج البشري.

من هنا يطالبنا ديننا الحنيف ونحن نعد العدة لنربي أولادنا وشبابنا أن نعلمهم أدب الحديث والتحدث وأن نحترم مشاعر الآخرين، ونحسن الاستماع لأصحاب الرأي السديد، ونتقبل الخلاف في الرأي بروح مرنة ونفس طيبة صافية، وأن ننتقي الألفاظ التي تعبر عن الوجدان العميق والمعنى الأصيل والذي بفضل هذا المعنى يتحقق الوصال الخلقى بين الإنسان والآخر.

وقد يكون من الممكن أن تظهر الإعاقَة الخلقية من خلال التوظيف الخاطي للغة على الوجه الآتي:

١- عندما نعلم أولادنا وشبابنا أن الصمت من ذهب وإبداء الرأي من فضة: هذه المقولة تنبه إلى أن الكلام وإبداء الرأي من الأمور غير الهامة، وهنا تكون الإعاقَة حيث إبداء الرأي من الأمور الهامة لكل إنسان - فحيث يوجد الرأي تتكون العلاقة الحميمة، ويتم التفاهم - فالوصول لايعرف الكتمان من هنا فإن التربية الدينية لابد وأن تعلم أولادنا وشبابنا أن يقولوا ما يعرفونه ويتأكدون من معرفته بعيدا عن اللغو اللفظي الفارغ وبعيدا عن التعصب والجمود، وسعيا للتبادل الفكري الواعي المبني على المنهج والموضوعية بعيدا عن الذاتية والأهواء.

٢- عندما يكون الكلام أكثر من الأفعال: كثيرا ما نجد أن هناك من الأفراد المغرمين بكثرة الكلام والوعود والثرثرة والاقاضة في الحديث، بحيث يضعون معظم أوقاتهم في لغو الكلام وباطله، إلى جانب، ما قد نراه عند البعض من هتك أعراض الآخرين من خلال (النميمة) تلك الآفة التي بدأت

تنتشر بحيث أصبح من المستباح عند بعض أصحاب القلوب الجامدة أن يأكلوا لحوم اخوانهم ميتة، وينهشوا من خلال (النميمة) كل معاني الخير التي فطر الله عباده الصالحين عليها.

٣- عندما نعرف الحقيقة ونسكت عن ذكرها خوفا وخضوعا..ظهرت هذه الإعاقة الأخلاقية عند البعض الذين لايعترفون إلا بمصالحهم الذاتية ومن هنا يطمسون الحقائق ويظهرون المودة الزائفة لمن سيحقق لهم مآربهم، يراوغون ليحققوا مصالحهم، وهذا المسلك غير الأخلاقي يحتاج إلى تنبيه الأذهان إلى خطورته وإلى سلبيته، وإلى أنه يجاقى الاتجاهات السليمة والمبادئ القويمة التي أقرها الدين الإسلامي الحنيف، ونعلم أولادنا وشبابنا الدقة اللفظية وشهادة الحق النطقية - فشهادة الحق بمثابة الضريبة الخلقية التي يدفعها كل صاحب ضمير حي وفكر متوقد وإرادة صالحة.

٤- عندما يكون الإحباط وسيلة المعاملات:

ينتاب الإنسان الفرد في بعض الأحوال والظروف بعض مشاعر القلق والشعور بالغربة وما يتبعه من ضياع بسبب "الإحباط" الذي يواجهه من خلال بعض المعاملات التي يصادفها في بعض مواقف الحياة.

وهذا الشعور الضاغط على الفرد يجعله يستسلم في كثير من اللحظات لليأس ويعتريه شعور غريب يدفعه إلى التشاؤم وتصوير الحياة بصورة قائمة، وإذا كان "الإحباط" يتجلى في صورة حرمان الفرد من إشباع حاجة أو تلبية رغبة ملحة فإن الأسباب الجوهرية لهذا الشعور العجيب قد تجعلنا نصاب بالدهشة عندما نعرف أنها مصطنعة أو مقصودة "هناك أولئك الذين يفكرون فيك ليسينوا إليك" وهناك أولئك الذين يعطلون أعمال الغير "ويوقفون المراكب السائرة"

ويقود الإحباط في العادة إذا لم يكن مستندا على منطوق إلى متاعب نفسية حادة، وإذا كان كذلك فلا بد لنا من تكفي الظروف المؤدية إلى الإحباط لنعرف كيف تمثل هذه الظروف عوائق خلقية ينبغي أن نعمل على التخفيف من حدتها.

#### ٥- عندما نعلم الأولاد الصبر على عدم القدرة:

إذا سألنا أنفسنا ما الذي يخلع المعنى والقيمة على حياتنا التي نعيش بين جوانبها فربما ستكون الإجابة "إن الحياة تأخذ معناها عندما تعتمد على الولاء والإخلاص والتفاني في التعامل مع الإنسان في الآخر.

والإنسان من هذا الصنف (المخلص الوفي والذي يتفاني في حبه وإخلاصه ومعاملاته هو الهدف المنشود حتى إذا لم يحالفه الحظ والتوفيق لأن معنى الولاء والوفاء والإخلاص يحور كل الحسرة واللوعة التي يستشعرها الإنسان عندما يصاب بدوار الإخفاق من جراء الخديعة والخيانة وعدم المروءة التي قد يجدها من الآخرين.

والواقع أن الإنسان لا يجوز له أن يتعلم الصبر على عدم القدرة لأن الصبر الجميل المطلوب هو ذلك الذي يجعلنا نقدر المواقف ونتفاعل معها إما أن يكون الصبر لعجز أو عدم قدرة فهذا ضرب من ضروب الصبر المرفوضة التي تجعل الإنسان خائعا أو منسحبا أو غير متفاعل، الإنسان صاحب الإرادة القعالة هو صاحب السعى الموجه إلى هدف وهو الذي تتحقق منه تلك الرابطة الحقيقية بين ذاته من جهة (والقيمة) التي يعمل من أجلها من جهة أخرى.

وهذا معناه أن الذات البشرية الجادة لاتعرف هذا النوع من الصبر الممسلم لأنها تستشعر رسالتها وتوظف إرادتها فهي تدرك بوعى وفهم أن التكيف والتوافق لا يتم إلا مع القيمة الحقيقية التي يسعى إليها الإنسان وهي قيمة التواصل والحرص على القدرة والعطاء وتوظيف الإرادة بالالتحام مع القيمة المنشودة.

الصبر على عدم القدرة فيه سبق إصرار وترصد على عدم الفعالية وفيه سلوك يجافى طبيعة الإنسان الراقية لأن الشخصية لاتكاد تكف طوال حياتها في صبرتها السوية عن السعى نحو اكتشاف ذاتها فالإنسان الراقى بما هو إنسان "يحب ويتعلم ويتفوق ويكدح ويتعاون ويتعاطف ويتفاعل إلخ" لأنه يجاهد في سبيل العثور على هويته الخاصة ومن ثم فإن الصبر على عدم القدرة دافع إلى الغفلة والتشتت والخنوع وهو ضد الطبيعة الإنسانية الراقية التي تهيب بنا بنداء الأمل وقوة الإرادة إلى العمل والصبر على أن تزداد القدرة لا على أن نوافق على تخفيضها أو العمل على تقليلها من خلال هذا الصبر العجيب وعلينا ونحن نعلم أولادنا من خلال التربية الدينية أن نغرس فيهم روح السابرة والعمل والكفاح المستمر حتى تتم العلاقة العظيمة بين الإنسان والموقف فيعيش أبعاده ويتصرف وفق ما يقتضيه بوعى وفهم وخلق رفيع وتسامح وشهامة ونبل وعطاء.

#### ٦- عندما يعرقل الشر خطى الإنسان نحو الخير:

يتجه الإنسان بوصف صاحب الفطرة الطيبة التي فطره الله عليها إلى فعل الخير، لأن فعل الخير يمثل رغبة في ترقية الإنسان والنهوض بشخصيته.

هذا بعكس الشر الذي يؤدي إلى انحلال واضطراب الشخصية ويحمل على الهبوط بها إلى اندرك الأسفل الذي يطمس معالمها الإنسانية. والإنسان بوصفه صاحب الإرادة الخيرة والخلق القويم إذا ارتضى لنفسه الهداية وسار على الصراط المستقيم ينبغي أن يحارب (الشر) بكل صورته وأشكاله فالشر يمثل عوائق خلقية ينبغي أن نتنبه إليها في حياتنا إذا أردنا لأنفسنا أن تبلغ شأنا وقيمة في مجال العلاقات الإنسانية السليمة. وتظهر خطورة (الشر) كعائق خلقى يمنع الإنسان الذي يمارسه من أن يتمتع بشتى العلاقات الإنسانية السليمة لأن الشر يجعل صاحبه يتصف بالصفات الآتية:

- ١- ضعف الإرادة واضطرابها، والخضوع للغواية التي تقضى على الجوانب الروحية.
- ٢- الشعور بالفشل والقدره على عدم مواجهة أوضاع بحلول بديلة ملائمة.
- ٣- التناقض بين ما هو كائن وما ينبغي أن يكون.

### والخلاصة:

أن هذه الملامح من الإعاقفة الخلقية تجعلنا نهيب بكل مسئول عن إعداد مناهج التربية الدينية أن يراعى ضرورة غرس القيم التي تحث على التعاون والتفاعل والصدق والاتجاز وتحمل المسؤولية والانتماء السليم، والمواطنة الصالحة وعلى مناهج التربية الدينية أن تعلم الدارسين:

- ١- الصدق في القول والعمل.
- ٢- إخلاص النية وتجنب الرياء.

- ٣- الفضولية واحترام حقوق الآخرين.
- ٤- المحبة المخلصة والعطاء بلا حدود.
- ٥- الصبر وتحمل مشكلات الحياة.
- ٦- العفة ومروءة النفس وكرامتها.
- ٧- التطلع إلى المعرفة الواعية والحرص على الثقافة والحضارة الرشيدة.

- ٨- المروءة والتعاون وحب الخير.
- ٩- احترام حق الجوار والحرص على تقدير احساس الآخرين.
- ١٠- التقوى والتحكم في الميول والأهواء.
- ١١- إنشراح الصدر والإقبال على الحياة باتزان وتحكم وعفة.
- ١٢- التواضع وتجنب الغرور.
- ١٣- البعد عن الحرام وتجنب الظلم.
- ١٤- التسامح مع زملاء الإنسانية.
- ١٥- الابتسامة المشرقة وسلامة النية.

بهذه التصورات نستطيع أن نقدم لأولادنا وشبابنا تربية دينية واعية تتمشى مع الغرس الطيب الذي يحرص عليه الدين الحنيف الذي يرى الإنسان دائماً محبباً ودوداً، متسامحاً، متعاوناً، متفاعلاً، مثمراً و منجزاً. شفوفاً حائياً، يعرف الحق والواجب ويحترم نفسه وبلاده ووطنه والإنسانية جمعاء.